الصراع الدولي وأثره على تحول تجارة طريق اللبَان صوب البحر الأحمر

أ. د.عبد الله أبو الغيث

أ. التاريخ القديم وحضارته-

جامعة صنعاء- اليمن

المستخلص

هذا البحث عبارة عن تتبع للعوامل الداخلية والخارجية التي أحاطت بطريق اللبان الدولي، الذي كان يربط بين عالميّ المحيط الهندي والبحر المتوسط عبر غرب الجزيرة العربية، وأدت في نهاية المطاف إلى تحول معظم تجارته إلى طريق البحر الأحمر، وذلك مع بداية العصر الميلادي، بعد أن ظل لطريق البخور شنة ورنة طوال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد،. مع التطرق للنتائج التي ترتبت على ذلك التحول، سواء ببعدها السلبي على بعض المناطق أو ببعدها الإيجابي على مناطق أخرى. وهو ما سوف نفصله في ثنايا البحث.

Abstract:

This research is a trace of the internal and external factors that surrounded the international Frankincense and incense route which used to connected the countries of the Indian Ocean and the Mediterranean Sea across the Western Arabian Island.These factors eventually led to the shift of most of the Frankincense and incense route trade to the Red Sea route by the beginning of the CE, after the Frankincense and incense route has remained a great reputation throughout the second and first millennium Bc.Addressing the consequences of this shift, whether its negative dimension to some regions or its positive dimension to others.

المقدمة:

سنعمل من خلال هذا البحث على تتبع طريق اللبان التجاري الدولي منذ نشوئه حتى توقفه في نهاية المطاف، بعد تحول الكثير من تجارته التي تأتي من خارج جزيرة العرب صوب الطريق البحرية في البحر الأحمر، ووراثة طريق الإيلاف لما تبقى من تجارته البرية، خصوصاً بعد أن تمكن الأحباش من اكتساح اليمن في مطلع القرن السادس الميلادي والقضاء على دولة حميّر، وبالتالي سقوط الحضارة اليمنية القديمة السابقة للعصر الإسلامي. وسنسلط الضوء على الصراع الدولي بين الشرق والغرب الذي برز بدرجة أساسية

ابتداءً باكتساح الاسكندر المقدوني للشرق في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، واستمراره حتى ظهور الإسلام وقيام الدولة الإسلامية الناشئة التي تمكنت من القضاء على دولة الفرس الساسانية، ودحر دولة الروم البيزنطية من سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية وحصرها في عاصمتها القسطنطينية وما جاورها من أراضي البلقان وشرق أوروبا. وذلك نظراً للدور الذي لعبه ذلك الصراع من تأثير سلبي على طريق اللبان الدولي وتحول تجارته الخارجية صوب طريق البحر الأحمر. وسنتطرق كذلك للصراع الذي دار بين الأحباش والدول العربية القديمة التي سادت في الجزيرة العربية؛ خصوصاً في قسمها الجنوبي، والذي مثل في بعض وجوهه انعكاسا لذلك الصراع الدولي الذي كان قائماً بين الفُرس من جهة والدول القادمة من أوروبا من جهة أخرى؛ بداية بالإسكندر المقدوني، ونهاية بالدولة البيزنطية.

وقد قسمنا البحث إلى تسعة عناوين، تسبقها مقدمة وتنتهي بخاتمة، على النحو التالي:

- نشوء طريق اللبان.
- محطات طريق اللبان وبضائعه.
- المنافسة البطلمية واكتشاف حركة الرياح الموسمية.
- الحملة الرومانية على جنوب جزيرة العرب.
- التدخل الحبشي الأول في جزيرة العرب وصلته بالرومان.
- الحملات السبئية والحميّرية صوب شمال الجزيرة.
- سقوط الحضارة اليمنية القديمة على يد الأحباش.
- نشوء طريق الإيلاف على أنقاض شبكة طريق اللبان.
- امتداد النفوذ الفارسي إلى جنوب الجزيرة العربية.

نشوء طريق اللبان:

طريق اللبان (يعرف أيضا بطريق البخور) هي تسمية أطلقها المؤرخون على طريق التجارة الدولي الذي ربط بين عالم المحيط الهندي من جهة وعالم البحر المتوسط من جهة أخرى، وذلك نسبة لسلعة اللبان التي كانت أشهر السلع التي تنقل عبر هذا الطريق، إلى جانب سلع أخرى سواء ذات منشأ عربي مثل المُر والصمغ العربي، أو ذات منشأ غير عربي مثل القرفة والفلفل وأنواع التوابل وغيرها من البضائع التي سنأتي على ذكرها لاحقاً. وإطلاق تسمية طريق اللبان على هذا الطريق تأتي أسوة بإطلاق تسمية طريق الحرير على طريق التجارة الدولي الآخر الذي كان يمتد من الصين إلى سواحل البحر المتوسط نسبة لسلعة الحرير التي كانت أهم السلع التي يتم نقلها عبر ذلك الطريق. علماً بأن المحيط الهندي والبحر المتوسط كانا يعدان أهم مسطحين مائيين في العالم القديم، وذلك قبل أن يتم اكتشاف

العالم الجديد وبروز أهمية المحيطين الأطلسي والهادي، من غير أن يعني ذلك فقدان المحيط الهندي والبحر المتوسط لأهميتهما واستمرارها حتى اليوم[1].

ويربط المؤرخون نشوء تجارة طريق اللبان باستئناس الجمل، وذلك لتعذر وجود مثل هذا الطريق شبه الصحراوي دون دابة قادرة على حمل الأثقال وتحمل العطش كالجمل[2]. لكنهم يختلفون حول الزمن الذي تم فيه استئناس الجمل، حيث يرجعه بعضهم إلى حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد[3]. بينما يرى آخرون – وفقاً للمكتشفات الحديثة – أن الجمل قد تم استئناسه تدريجياً ابتداءً من الألف الثالث قبل الميلاد في جنوب شرق جزيرة العرب، وكان الرعاة الرُحّل يربونه من أجل لبنه وصوفه، وفي بداية الألف الثاني قبل الميلاد تم استخدامه للحمل، حيث فاق أداء الحمير التي كانت تستخدم لنقل البضائع في ذلك الحين، وقد أتاح تحمل الجمل للعطش وسرعة تنقله وتكوينه الجسماني باجتياز مسافات كبيرة عبر السهول الوعرة في الجزيرة العربية، وبات بالإمكان المباشرة بعمليات عبور طويلة للمناطق القاحلة التي كان يتعذر اجتيازها حتى ذلك الحين، مع توسيع المحطات الضرورية للراحة[4]. ويدلل البعض على استئناس الجمل في زمن مبكر على شواهد أثرية وجدت في بلاد الرافدين وتعود إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد[5]. وتشير المصادر إلى اختفاء ذكر بلاد ماجان (عُمان) من نصوص بلاد الرافدين ابتداء من تاريخ 1800 ق.م رغم توارد ذكرها لديهم قبل ذلك كونها كانت تقع على طريق سفنهم المتجهة صوب بلاد السند، وذلك يؤكد تحول الطريق التجاري مع الهند من الخليج العربي إلى طريق اللبان، خصوصاً أن هناك شواهد تثبت أن طريق اللبان البرية صارت حقيقة واقعة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد[6].

وورد في التوراة بأن «جمال مدين كانت كالرمل على شاطئ البحر في الكثرة» (سفر القضاة 12/7)، وأنهم قد استخدموها في نقل البضائع السبئية إلى بلاد الشام ومصر (سفر أشعياء 6/60). وذكرت التوراة أيضاً أن الذين التقطوا النبي يوسف عليه السلام من البئر التي تركه فيها إخوته في صغره كانوا تجاراً من أهل مدين (سفر التكوين 37/28).

وقد أكد القرآن الكريم ذلك عندما ذكر أن أصحاب قافلة تجارية هم من التقطوا يوسف من البئر (سورة يوسف/19)، وقد عدها بعض المفسرين قافلة مديانية[7] (ربما نقلاً عن التوراة) ، وغالباً كانت القافلة مكونة من الجمال، لأن البعير قد ذُكر صراحة في موضع آخر من قصة نبي الله يوسف باعتباره وسيلة للنقل على الطرق التجارية آنذاك (سورة يوسف/65)،

وقد رجحنا في بحث آخر اعتماداً على معطيات تاريخية بأن النبي يوسف قد عاش في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، قياساً على الزمن الذي عاش فيه جده الأكبر نبي الله إبراهيم[8]، والذي يقدره بعض المؤرخين بحوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد[9].

أما في عصر النبي سليمان (القرن العاشر قبل الميلاد) الذي عاصر ملكة سبأ المذكورة في الكتب السماوية، فقد كان الطريق سالكاً، حيث تذكر التوراة في إطار سردها لزيارة ملكة سبأ للملك سليمان في فلسطين إن الموكب العظيم للملكة قد تضمن جِمالاً حاملةً أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة (سفر الملوك الأول 10/10). وهناك من يرى أن ملكة سبأ قدِمت إلى فلسطين بغرض التجارة، وأنها أخذت من سليمان ثمن ما أعطته، ولم يكن هدية بدون مقابل، معتمداً في ذلك الرأي على ما جاء في التوراة من أن سليمان أعطاها مشتهاها الذي طلبت، وزاد على ذلك ما سمح به كرمه (سفر الملوك الأول 10/13)[10]. وكان السبئيون هم من يديرون شبكة القوافل التجارية على طريق اللبان التجاري، حيث كانت سبأ بمثابة القوة العظمى على مستوى الجزيرة العربية، وذلك قبل أن يحل بدلاً عنهم المعينيون بمملكتهم الصغيرة المرتبطة بسبأ بالإشراف على تجارة طريق اللبان البري في وقت لاحق، لعوامل داخلية وخارجية ساعدت في ترتيب ذلك الوضع خلال عصور ما قبل الميلاد[11].

محطات طريق اللبان وبضائعه:

كانت بداية طريق اللبان من منطقة ظفار (الواقعة على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب، في سلطنة عُمان حالياً) حيث يخرج منها طريقان: الأول بري، ويتجه صوب وادي حضرموت، والثاني بحري، ويتجه إلى ميناء قنا (بير علي حالياً في محافظة شبوة اليمنية)، ويلتقي الطريقان في مدينة شبوة عاصمة دولة حضرموت القديمة، ومنها يتجه الطريق إلى تمنع عاصمة دولة قتبان، ثم إلى مارب عاصمة دولة سبأ، ومن مارب يمتد عبر جوف المعينيين إلى نجران. ويتفرع من نجران طريق يمر عبر قرية (الفاو) إلى اليمامة، ومنها إلى ساحل الخليج العربي، ثم إلى جنوب بلاد الرافدين. بينما يواصل الطريق الرئيسي مساره من نجران إلى مكة سالكاً المسار نفسه الذي عرف بعد ذلك بدرب أصحاب الفيل إبان حملة أبرهة على مكة. ومن مكة يستمر الطريق شمالاً إلى يثرب (المدينة)، ومنها إلى دادان (العلاء)، ثم أيلة (العقبة)، ومنها يتجه إلى البتراء حاضرة الأنباط. وفي البتراء يتفرع من الطريق فرع يسير موازياً لغور الأردن نحو دمشق، ومنها إلى مدن الساحل الفينيقي، وفرع

آخر يتجه إلى بلاد ما بين النهرين. أما الفرع الرئيسي فيتجه من البتراء إلى ميناء غزة في فلسطين حيث ينتهي طريق اللبان في ذلك الميناء الذي يعتبر مجمعاً للسلع العربية. وبوصول القوافل إلى غزة تكون قد مرت بخمس وستين محطة منذ انطلاقها من مدينة تمنع حسب رواية بلينى المتوفي حوالي سنة (79م)[12]. وكانت القافلة التجارية تستغرق يوماً واحداً للمرور بين محطة وأخرى، بحيث تنتهي القافلة في نهاية كل يوم إلى محطة راحة فيها موقف للجمال، ونُزل لأصحاب القوافل الذين كان عليهم أن يدفعوا في كل محطة من هذه المحطات ثمن حصولهم على الماء والعلف للجمال وأجر النزل الخاصة بالمبيت ورسوماً لقاء السماح لهم بالمرور أو مقابل الحماية، وغيرها، سواء أكان المقابل جزءاً مما تحمله القافلة من بضائع أو ثمناً نقدياً[13]. وحرصت القوافل التجارية على أن تسلك طرقاً شبه صحراوية لتجنب الأمطار التي تتسبب بالتلف لبضائعها[14]، خصوصاً أن رحلتها جنوباً وشمالًا كانت تتم في غير موسم الأمطار، فرحلتها إلى اليمن كنت تتم شتاءً بينما أمطارها صيفية، ورحلتها إلى الشام كانت تتم صيفاً بينما أمطارها شتوية. وتحتاج هذه القوافل خلال رحلتها الطويلة هذه إلى أدلاء يرشدونها إلى الطريق بين مجاهل الصحراء، إلى جانب الحراس والحمالين، بحيث كان يصحب القافلة فرقة استكشافية تسير في مقدمتها، تضم جماعة من الأدلاء من أهل الخبرة بالطريق، إلى جانب فرقة للخفارة لحماية القافلة برئاسة شخص مهم. وقد تكون هذه الفرقة تابعة للدولة التي تملك القافلة، وبالتالي يكون رئيسها من رجال الملك. وقد تكون الفرقة أيضاً مكونة من أفراد القبيلة التي تمر القافلة عبر أراضيها، ويكون ذلك بعد الاتفاق مع هذه القبيلة على حماية القافلة مقابل جُعل (أجر) يدفع لها، بحيث تسلم كل قبيلة مسؤولية حماية القافلة للقبيلة التي تليها ، حتى تصل إلى أهدافها[15].

أما فيما يخص البضائع التي كان يتم نقلها عبر هذا الطريق ذهاباً وإياباً، فيمكن أن نستشف من خلال كتاب (دليل البحر الإرتيري) لمؤلف يوناني مجهول أن البضائع التي تم تبادلها على طرق التجارة الدولية القديمة بين إقليمي المحيط الهندي والبحر المتوسط كان مصدرها يتمثل بأربع مناطق رئيسة، هي[16]:

1. الهند وشرق آسيا: ويأتي منها، الفولاذ الهندي والنحاس، وأخشاب التيك والأبنوس والساج، والأرز والقمح، وزيت السيرج والدهن، والفلفل والقرفة والطيوب، والأقمشة القطنية والمتنوعة، والكحل المصنع، والأواني الفخارية الهندية والصينية التي تصدر عبر الهند. إلى جانب سلع أخرى كانت تنقل

إلى الهند من وسط آسيا ثم تصدر من موانئها غرباً، وتمثلت بالرصاص واللازورد.

2. شرق إفريقيا: ويأتي منها، القرفة، والسمسم، والمُر، والعاج، والذهب، والذبل، وقرن الخرتيت، والعبيد.
3. الجزيرة العربية، خصوصاً اليمن: يأتي منها، اللبان، والمُر، والذهب، واللؤلؤ، والتمر، والرماح، والنبيذ.
4. بلاد البحر المتوسط: ويأتي منها، النبيذ من سوريا وإيطاليا، وزيت الزيتون من سوريا وفلسطين، والمرجان والقماش والأرجوان من فينيقيا، والأقمشة والكُحل والزُمرد والياقوت الأصفر والعقيق الأحمر من مصر. إلى جانب سلع أخرى ستتم الإشارة إليها ضمن هذا العنوان.

تجدر الإشارة إلى أن سكان منطقة البحر المتوسط مثلوا المستوردين الرئيسيين لمنتجات المناطق الثلاث الأخرى، وحظيت بعض السلع الشرقية لديهم بإقبال متزايد، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أثمانها في بعض الأحيان بشكل كبير، مثل: اللبان، والحرير، والفلفل، وغيرها من السلع. فاللبان (العربي) كان سعره يساوي سعر الذهب في قول بعض المصادر، لذلك لم يكن يستخدمه إلا الملوك في قصورهم، والكهنة في معابدهم. أما الحرير (الصيني) فقد بيع الرطل منه في روما باثنتي عشرة أوقية ذهبية. وكذلك الفلفل (الهندي) الذي كان من أغلى العناصر التي تدخل في الطهي الروماني، ووصل سعر الرطل من نوعه الجيد إلى خمسة عشر ديناراً رومانياً[17]. وذلك يعطينا فكرة عن أهمية هذا الطريق، ويفسر لنا الصراع الإقليمي والدولي الذي دار بخصوصه، وهو ما سنتناوله في الفقرات القادمة.

ومن بداهة القول أن ما تم ذكره من بضائع كانت تمثل أهم تلك البضائع وليس كلها. وبصورة إجمالية يمكن تحديد أهم البضائع المنقولة عبر طرق اللبان في رحلة ذهاب القوافل من اليمن إلى بلاد الشام باللبان والمُر والصَبِر، والذهب والفضة والأحجار الكريمة، والطيوب ومواد صناعتها مثل قصب الذريرة والزباد والعمبر واللادن والمسك والعود، وكذلك المحاصيل المرتبطة بالجوانب الطبية مثل البلسم ودم الأخوين والعسل والملح، إلى جانب التوابل مثل الفلفل والقرفة والزنجبيل والقرنفل، ومعها سلع أخرى مثل العاج والحرير والأرز. أما البضائع في طريق الإياب من بلاد الشام إلى اليمن فقد تمثل أهمها بزيت الزيتون والأقمشة والمنسوجات الأرجوانية والمطرزات، إلى جانب الزجاج والمصنوعات الزجاجية والخمور والطحين وبعض الرقيق[18].

المنافسة البطلمية واكتشاف حركة الرياح الموسمية:

لم تكن هناك منافسة تذكر للهيمنة التي مارسها العرب الجنوبيون على طريق اللبان التجاري، وتكاملت أدوارهم مع القوى الإقليمية الأخرى التي ارتبطت مصالحها بانتظام ذلك الطريق. بينما ظل البحر الأحمر مجالاً حيوياً للدولة المصرية القديمة، واستمر ذلك الوضع حتى مطلع الألف الأول قبل الميلاد عندما انتقل زمام التجارة في البحر الأحمر وما يليه خارج باب المندب إلى الفينيقيين، حيث تخصصوا بنقل البضائع الإفريقية في الغالب، بينما ظلت عملية التواصل مع الهند بيد الملاحين العرب الذين يتولون نقلها بعد ذلك عبر طريق اللبان، حيث ظل لكل فريق مجاله الذي يعمل فيه. لذلك فإن المنافسة الحقيقية التي بدأت تهدد طرق التجارة الدولية بين المحيط الهندي والبحر المتوسط لم تتفعل بشكل ملحوظ إلا بعد ظهور الاسكندر المقدوني في الشرق في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وفرض سيطرته عليه ووصوله إلى الهند، ولم يتبقَ خارج سيطرته إلا الجزيرة العربية[19]. وسبق القول أن سبأ كانت بمثابة القوة العظمى على مستوى الجزيرة العربية، ونفهم من حديث استرابون أن الإسكندر المقدوني قد توقع إعلان ولائهم له، لذلك فقد غضب من عدم حدوثه وتوعدهم بالغزو[20]. حيث بدأ الإسكندر المقدوني بإرسال البعثات لاستكشاف جزيرة العرب وتقدير حجمها، وبلغت البعثات التي أرسلها من بابل عبر الخليج العربي ثلاث بعثات، كان أبرزها وأطولها باعاً هي بعثة هيرون، إلى جانب بعثة أمر الإسكندر بإخراجها من مصر لاستكشاف سواحل الجزيرة على البحر الأحمر تمكنت من الوصول إلى مضيق باب المندب. ويوجد أدلة على قيام الإسكندر بإنشاء مستعمرة في شمال شرق الجزيرة العربية على حدود بلاد الرافدين، بل أن الإسكندر كلف قائده نيارخوس البدء بإعداد الأسطول البحري في الخليج العربي ليغزو به جزيرة العرب، إلا أن الموت عاجله أثناء الإعداد لتلك الحملة وقبل أن يحقق حلمه بالسيطرة على بلاد اللبان، خصوصاً أنه أثناء حصاره لمدينة صور كان قد سيطر على قافلة تجارية للسبئيين ونهب حمولتها، وأرسل كمية كبيرة من اللبان لأستاذه ليونيداس[21] الذي تذكر بعض الروايات أنه حرضه على السيطرة على بلاد اللبان نفسها.

وبعد أن تقاسم قادة الإسكندر إمبراطوريته فإن دولة البطالمة في مصر وما جاورها هي من تبنت مشروعه في منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي، فقد تبنوا مشروعاً لتشجيع الحركة التجارية صوب البحر الأحمر الذي عملوا من أجل فرض سيطرتهم عليه، وواصلوا عملية استكشاف السواحل العربية المطلة على البحر الأحمر، مع تجديد الموانئ التجارية على ساحله الإفريقي وإنشاء موانئ جديدة، إلى جانب زيادة السفن التجارية، وتجهيز أسطول

حربي لحماية الملاحة من القراصنة[22]. وبدأ اهتمام البطالمة بالبحر الأحمر بدرجة رئيسية في عهد بطلميوس الثاني، الذي ورث عرش الدولة البطلمية عن والده بطلميوس الأول أحد كبار قادة الإسكندر الذي تمكن من تأسيس دولة خاصة به في مصر وما جاورها، حيث أرسل بعثة لاستكشاف سواحل الجزيرة العربية على ذلك البحر بقيادة أرسطون، كما أسس مستعمرة أمبيلوني على السواحل الشمالية الغربية لجزيرة العرب. ودخل في صراع عسكري مع دولة الأنباط في منطقة شمال غرب جزيرة العرب وجنوب بلاد الشام، وكذلك مع السلوقيين في جنوب سوريا وفلسطين، ومع كوش في شمال السودان. بينما انحصرت علاقته بالدول القائمة في جنوب الجزيرة العربية بالعلاقات التجارية، رغبة منه بإقامة علاقات مباشرة لدولته معها دون الخضوع لوساطة الأنباط. وواصل ابنه وخليفته بطلميوس الثالث نفس سياسته فزاد من حركة استكشاف الساحل الإفريقي للبحر الأحمر، وقد وصل العمران في عهده حتى رأس غاردافوي في أقصى جنوب البحر الأحمر[23]. وبعد ضعف دولة البطالمة في عصر ملوكها الأواخر، وقلة صداماتهم العسكرية في منطقة البحر المتوسط مع الدول المنافسة لهم، ساعدهم ذلك على تحويل طاقاتهم التي كانت تضيع في تلك الحروب لتوسع سلمي تجاري صوب البحر الأحمر والمحيط الهندي، واستكشاف مستمر للسواحل الإفريقية، وتوسيع تجارتهم في البضائع الشرقية، خصوصاً بعد ازدياد الطلب عليها في منطقة الغرب الأوروبي، وذلك بعد أن كانت في السابق عبارة عن كماليات لا تطلبها إلا طبقة محددة من الأثرياء[24]. وبلغ من اهتمام البطالمة بالبحر الأحمر والمحيط الهندي والتجارة القادمة عبرهما أن عينوا موظفاً خاصاً يحمل لقب «حاكم طيبة والمشرف على البحر الأحمر والمحيط الهندي»، وكُلِف هذا الموظف بمراعاة مصالح البطالمة في التجارة القادمة عبر هذين البحرين، وبخاصة ما يتصل منها بالمواد العطرية التي حرص البطالمة على جلبها، وذلك بعد تزايد الإقبال عليها لاستخدامها في شتى الأغراض الدينية والحياة اليومية[25].

وتمكن البطالمة بعد قرابة قرنين من الزمان من تأسيس دولتهم من الوصول إلى الهند مباشرة، بعد أن كانت تجارتهم محصورة بالبحر الأحمر، وذلك بعد أن تمكن البحار الإغريقي يدكسوس الكيزيكي من الوصول إلى الهند بمساعدة بحار هندي ألقت به الرياح على شواطئ سواحلهم الإفريقية للبحر الأحمر، وكان ذلك في حوالي العام 117 ق.م، وبطبيعة الحال فالتواصل بين البطالمة والهند ظل محدوداً، وذلك لأن سفنهم كانت مضطرة للعبور قبالة سواحل بلاد العرب الذين لا ترضيهم عملية وصول البطالمة إلى الهند بشكل

مباشر ودون الحاجة لوساطتهم، وقد دفع ذلك البطالمة للبحث عن أسرار حركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي ليتمكنوا من العبور مباشرة إلى الهند في عرض المحيط، وهو ما تسنى لهم على يد البحار الإغريقي هِبالوس حوالي عام 45 ق.م[26]. وهذا ما يجعل بعض الدارسين يعدون ذلك التاريخ بداية لتحول طريق التجارة الدولي الذي يربط المحيط الهندي بالبحر المتوسط، من طريق اللبان البري إلى طريق البحر الأحمر، الأمر الذي شكل بداية لتدهور طريق اللبان. وهو ما انعكس سلباً على المناطق الداخلية في جنوب الجزيرة العربية وشمالها، في مقابل ازدهار المناطق الساحلية[27]. ومع ذلك نفهم من استرابون محدودية السفن المصرية التي كانت تعبر باب المندب صوب الهند، وأن رحلتها كانت محفوفة بالمخاطر[28]. يضاف لذلك احتفاظ العرب بكثير من بضائعهم ذات المنشأ العربي مثل اللبان والمُر، وهو ما سنلقي عليه الضوء لاحقاً.

تجدر الإشارة أن العرب كانوا قد اكتشفوا قبل ذلك حركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي في فترة ما غير معروفة تحديداً، واستغلوا مواسمها للإبحار بين الجانبين عبر المحيط مباشرةً، وكان ذلك قبل تعرف العالم الغربي عليها في القرن الأول قبل الميلاد على يد البحار الإغريقي هِبالوس، لكنهم احتفظوا بأسرارها لأنفسهم وأخفوها عن منافسيهم، [29]. ولكون هبالوس قد توصل إلى تلك المواسم ذاتياً ولم يأخذها عن العرب فقد عزت إليه المصادر الكلاسيكية ذلك الاكتشاف، خصوصاً والتاريخ لم يسجل لنا اسم مكتشفها العربي الأقدم منه، وإن كنا نرجح بأن العملية تمت عن طريق تراكم الخبرات وتكرار التجارب عبر الأزمان الطويلة التي مرت بها رحلاتهم الملاحية في المحيط الهندي أكثر ماهي اكتشاف مباشر على يد شخص ما[30].

الحملة الرومانية على جنوب جزيرة العرب:

رغم اكتشاف البطالمة لحركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي لكن عدد السفن التي كانت تتمكن من عبور مضيق باب المندب من مصر إلى الهند ظل محدوداً قبل إسقاط الرومان للدولة البطلمية في مصر عام 31 ق.م وضمهم لمصر كولاية رومانية، وكانت السفن التي تتمكن من فعل ذلك لا تزيد على عشرين سفينة، بينما زاد عدد السفن في العصر الروماني إلى ما يقارب ستة أضعاف ذلك العدد، حيث أصبح البحر الأحمر في عهد الرومان آمناً أكثر مما كان عليه في عهد أسلافهم البطالمة[31]. ويعتبر بعض الباحثين أنه كان من ضمن أهدف الحملة الرومانية على جنوب جزيرة العرب مهمة تطهير البحر الأحمر من القراصنة الذين كانوا يتحصنون بالسواحل العربية لذلك البحر، وهو ما كان يجبر السفن بالسير على شكل قوافل مصحوبة بالحماية العسكرية[32].

ويقودنا ذلك للحديث عن الحملة الرومانية التي أمر بها الامبراطور الروماني أغسطس، وذلك بعد أن تمكن من ضم مصر إلى دولته وأعلن نفسه امبراطوراً لروما، حيث كلف واليه على مصر إليوس جاليوس بشن حملة عسكرية على جنوب بلاد العرب، وقد دَوّن لنا الكاتب الإغريقي استرابون الذي رافق تلك الحملة أخبارها في كتابه الجغرافيا، حيث يمكن إيجاز ما ذكره استرابون عن الحملة التي بدأ الإعداد لها في عام 25 ق.م ووصلت إلى جنوب جزيرة العرب في عام 24 ق.م في التالي[33]:

يحكي لنا استرابون أن الحملة عبرت البحر الأحمر من مصر إلى ميناء لوكي كومي (ينبع البحر على أرجح الآراء) في الساحل الشمالي الغربي للجزيرة العربية، وكانت الحملة مكونة من عشرة آلاف جندي روماني، مع ألف من الأنباط، وخمس مئة من اليهود، وقد فقدت الحملة الكثير من رجالها وسفنها، التي تمثلت ب (80) سفينة مقاتلة، مع (130) سفينة حمل، بسبب مخاطر الملاحة وخيانة دليلها الوزير النبطي سيلي/صالح. وبعد استراحة قضاها الجيش الروماني في لوكي كومي ليتشافى من الأمراض التي أصابته توجهت الحملة براً صوب الجنوب (اليمن).وبعد وصول الحملة إلى مشارف جنوب الجزيرة تمكنت من احتلال مدينة نجران ومدن منطقة جوف اليمن؛ بعد مقاومة من بعضها واستسلام البعض الآخر، ثم واصلت سيرها نحو العاصمة السبئية مارب، فحاصرتها لمدة ستة أيام. بعدها قرر الرومان الانسحاب من بلاد العرب والعودة من حيث أتوا، بسبب نقص المياه، والأمراض التي أصابت الجيش الروماني، وليس بسبب مقاومة عرب الجنوب، لكونهم وفق استرابون لم يكونوا أمة حرب لا في البحر ولا في البر، بل ولا يجيدون حتى استعمال الأسلحة التي يمتلكونها!.. وقد قطع الجيش الروماني رحلة الإياب من جنوب الجزيرة إلى لوكي كومي في شمالها خلال شهرين، رغم أنهم استغرقوا في رحلة الذهاب ستة أشهر، حيث عاد إليوس جاليوس قائد الحملة إلى الاسكندرية بمن تبقى من قواته بعد أن فقد الكثير من عسكره.

هذا ملخص لما دونه لنا استرابون عن الحملة الرومانية المتوجهة صوب بلاد العرب. وللأسف الشديد فلم يعثر حتى الآن على ما دونه عرب الجنوب عن أخبار هذ الحملة كما جرت العادة مع أحداثهم الأخرى، ولذلك يبقى ما كتبه لنا استرابون مصدرنا عنها. وهو ما جعلنا في بحث سابق نعتمد في مناقشته على التناقضات التي أوردها، إلى جانب ما بتنا نعرفه من معلومات عن حياة العرب الجنوبيين من خلال نقوشهم المسندية التي

تركوهـا لنـا، وقـد دار الحـوار الـذي أجريناه مـع اسـترابون في ذلـك البحـث حـول الاستفسـارات التاليـة[34]:

- مـن الواضـح إصرار اسـترابون عـلى عـدم وجـود مقاومـة عربيـة لحملـة الرومـان، وأن العسـكر الرومـان الذيـن فُقـدوا إنمـا كان بسـبب الجـوع والمـرض والإنهـاك ووعـورة الطـرق، ومـع ذلـك نجـده يتناقـض مـع نفسـه في أكثـر مـن موضـع، فرغـم قولـه بـأن العـرب الجنوبيـين لـم يُبـدوا أي مقاومـة لكونهـم لا يجيـدون القتـال، إلا أننـا نجـده في موضـع آخـر ومـن بـاب تمجيـد الجنـدي الرومانـي يحدثنـا بـأن هـذا الجيـش قـد اصطـدم بالعـرب عنـد نهـرٍ في منطقـة الجـوف (غيـل وادي الخـارد)، وقُتـل مـن العـرب عـشرة آلاف مقاتـل، مقابـل فقدانـه لاثنـين مـن الجنـود الرومـان!!
- فـإذا كان هـذا هـو عـدد القتـلى العـرب؛ فكـم كان عـدد مقاتليهـم؟ وكيـف تمـت هـذه المقتلـة بـين صفوفهـم وهـم أصحـاب الأرض والأكثـر عـدداً؟! وهم الأدرى بشـعابها مـن الرومـان الذيـن كانـوا يعانـون مـن المـرض والمجاعـة، وكانـوا قـد فقـدوا الكثـير مـن جنودهـم قبـل أن يصلـوا إلى جنـوب الجزيـرة باعـتراف اسـترابون؟ حتـى لـو افترضنـا بـأن المدافعـين اليمنيـين كانـت وسـيلتهم في الدفـاع عـن بلادهـم مجـرد حجـارة؟.
- ومـادام الرومـان قـد وصلـوا إلى أبـواب العاصمـة السـبئية مـارب، فلمـاذا الانسـحاب بعـد سـتة أيـام مـن الحصـار إذا لـم يكـن هنـاك مقاومـة؟ وإذا كان ذلـك بسـبب نقـص الميـاه وفـق اسـترابون، فلمـاذا انسـحبوا مـن بقيـة الأراضي التـي كانـوا قـد سـيطروا عليهـا (الجـوف ونجـران) رغـم وجـود نهـر فيهـا؟.
- وإذا كان العـرب لا يجيـدون القتـال فمـا هـي المعركـة التـي دارت بينهـم وبـين الرومـان عنـد مدينـة نجـران أثنـاء انسـحاب الأخيريـن مـن اليمـن؟ والتـي وصفهـا اسـترابون بأنهـا كانـت «حاميـة الوطيـس»، وذلـك يدحـض أيضـاً قولـه بـأن العـرب لـم يكونـوا يجيـدون القتـال؛ بـل ولا يجيـدون حتـى اسـتخدام الأسـلحة التـي يمتلكونهـا، والتـي تمثلـت حسـب وصفـه بالأقـواس والحـراب والسـيوف والفـؤوس مزدوجـة الـرؤوس؛ وهـي الأسـلحة المعروفة في عصرهـم، ومـن البداهـة أن نسـأل اسـترابون هنـا عـن فائـدة امتـلاك العـرب لأسـلحة لا يجيـدون اسـتخدامها؟!.
- ثـم هـل يعقـل أن لا يعلـم عـرب الجنـوب بقـدوم الحملـة نحوهـم ويسـتعدون لمواجهتهـا رغـم أنهـا اسـتغرقت سـتة أشـهر في طريقهـا إليهـم؟ وألا يدلنـا قطـع الحملـة لطريـق إيابهـا في شـهرين (ثلـث مـدة الذهـاب) عـلى

ملاحقات عسكرية كانت تتعرض لها الحملة، بدليل ما ذكره استرابون عن المعركة حامية الوطيس التي دارت بين الجانبين بالقرب من نجران أثناء انسحاب الحملة.

- والملاحظ أنه رغم تهوين استرابون الواضح لعدد قتلى الرومان في المواجهات التي خاضوها مع العرب وحصرهم في سبعة أشخاص، لكننا نجده يذكر بأن قائد الحملة جاليوس قد عاد إلى الإسكندرية «بمن بقي من قواته»، وهي عبارة توحي بقلة العائدين، يؤكد ذلك عدم تحديده لعددهم، رغم حرصه على تسجيل الأعداد في المواضع الأخرى. وبعد هذه المناقشة السريعة لما دونه استرابون عن الحملة الرومانية على جنوب الجزيرة العربية، يتضح لنا بأن الغزاة الرومان قد واجهتهم مقاومة شديدة أجبرتهم على الانسحاب وعادوا وهم يجرون أذيال الهزيمة، خصوصاً وأن نقوش قدماء العرب الجنوبيين التي تركوها لنا تكَذّب مقولته عن عدم خبرتهم في القتال؛ فهي تتحدث عن حروب كثيرة خاضتها الدول اليمنية القديمة عبر تاريخها في سائر أنحاء الجزيرة العربية، في إطار صراعها وتنافسها من أجل السيطرة على المنطقة ومقدراتها(35). والمرجح أن هزيمة الرومان في اليمن هي التي دفعت الامبراطور الروماني أغسطس لأن يستوعب دروسها، ويترك وصية لخلفائه يطلب منهم فيها الاكتفاء بما وصلت إليه حدود امبراطوريتهم، والكف عن التوسع أكثر(36). ويذكر استرابون أن سبب الحملة التي وجهها الامبراطور أغسطس صوب بلاد العرب تتمثل بما سمعه من ثرائهم منذ زمن بعيد، وأنهم يقايضون بعطرهم وحجارتهم الكريمة الفضة والذهب، وأنهم لا يحتاجون إلى استيراد أشياء من خارج بلادهم، وهكذا كان أغسطس يهدف إما أن يسترضي العرب أو يخضعهم له، بحيث يحصل على أصدقاء موسرين أو يتغلب على أعداء موسرين. وكان استرابون نفسه قد نقل لنا صورة براقة عن حجم ثراء عرب الجنوب تراكمت عبر الزمن في روايات المؤلفات الكلاسيكية (رغم عدم صحة أكثر ما ورد فيها)، فنجده يحدثنا بأن لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة؛ كالأسِرّة والموائد الصغيرة، والآنية والكؤوس، أضف إليه فخامة منازلهم الرائعة؛ فأبوابها وجدرانها وسقوفها مختلفة الألوان بما يرصع فيها من العاج والفضة والذهب والأحجار الكريمة(37). وذلك يدلنا أنه رغم تمكن البطالمة ومن بعدهم الرومان العبور بسفنهم مباشرة إلى الهند إلا أن اليمن كانت لا تزال تحتكر أهم البضائع التي

كانت تمثل عماد تجارة طريق اللبان، وهي البضائع ذات المنشأ العربي مثل اللبان والمُر والصمغ العربي، وإلا لما تجشم الإمبراطور الروماني عناء إرسال حملة عسكرية إلى بلاد بعيدة عنهم، وعبر طرق صحراوية وعرة(38). وإذا أضفنا لذلك موقع بلاد العرب المتوسط بين الهند وشرق أفريقيا وبين المنطقتين وعالم البحر المتوسط، مع إطلالها على البحر الأحمر ستتضح لنا أهداف تلك الحملة بشكل أوضح(39).وعلى الرغم من فشل الحملة الرومانية وعدم تمكن الرومان من السيطرة على جنوب بلاد العرب إلا أنه قد نتج عنها تأثيرات سلبية، حيث تأثرت حواضر الدول اليمنية القديمة الواقعة في الهضبة الشرقية بسبب تحول جزء كبير من التجارة بين المحيط الهندي والبحر المتوسط صوب طريق البحر الأحمر، وتحول درب ما تبقى من تجارة برية صوب القيعان في الجبال الغربية الخصبة، خصوصاً بعد أن اشتدت هجمات الأعراب على تلك الحواضر بعد أن قل دخلهم بسبب تحول الطرق التجارية صوب البحر، وأدى كل ذلك إلى ازهار مدن القيعان ومدن السواحل الغربية في القرون الميلادية، وبروز الحميّريين وكيانهم السياسي على حساب دولة سبأ بدرجة أساسية(40)، حيث تمكنت دولة حميّر في نهاية المطاف من توحيد كل جنوب جزيرة العرب (اليمن القديم) تحت سيطرتها وحكمته منفردة بداية من العقد الأخير للقرن الثالث الميلادي.

تجدر الإشارة في نهاية هذه الفقرة أن هناك من يتحدث عن حملة رومانية تمكنت من تدمير مدينة عدن، اعتماداً على إشارة وردت في كتاب دليل البحر الأرتيري بأن القيصر تمكن من تخريب عدن التي أسماها مؤلف الدليل (العربية السعيدة) خلال فترة ليست بعيدة من الزمن الذي عاش فيه مؤلف الدليل حسب قوله[41] (وهو مؤلف مجهول). وقد دارت خلافات كثيرة بين الدارسين حول الحملة المقصودة بين من يعتبرها الحملة الرومانية نفسها السالفة الذكر التي أرسلها أغسطس ووصلت إلى مارب، بينما يعتبرها بعضهم حملة أخرى مع اختلاف في من يكون القيصر الذي أرسلها وفي زمنها، وذلك بناء على التحديدات السابقة التي كانت تجعل زمن تأليف ذلك الدليل تتراوح بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي[42]، لكن أحدث التقديرات لزمن تأليف ذلك الدليل تعيده إلى القرن الثالث الميلادي، اعتماداً على ذكره للملوك وأحداث في جنوب جزيرة العرب ثبت من خلال النقوش المسندية أنها تعود إلى ذلك القرن[43]، وهو ما يجعل أخبار تلك الحملة غامضة وغير واضحة المعالم حتى الآن.

التدخل الحبشي الأول في جزيرة العرب وصِلته بالرومان:

ارتبطت دولة البطالمة في مصر بالقارة الإفريقية منذ نشأتها في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حسبما ذكرنا سابقاً. وعندما سيطر الرومان على مصر قاموا بتدمير مدينة نبتة عاصمة الدولة المروية في شمال السودان، حيث أدى ذلك إلى اضطراب طرق القوافل التجارية التي كانت تربط بين مصر والمناطق الداخلية من إفريقيا، عبر الأراضي المروية. وهو ما جعل الرومان يشجعون عملية التوسع التي قامت بها مدينة أكسوم في بلاد الحبشة على أنقاض المستوطنات السبئية التي سادت هناك خلال الألف الأول قبل الميلاد، حيث نلاحظ أنه منذ بداية القرن الأول الميلادي ظهرت في الحبشة مملكة قوية ومستقلة تتخذ من مدينة أكسوم عاصمة لها[44].

جدير بالإشارة إلى أن الوجود اليمني على الشواطئ الشرقية لأفريقيا يعود إلى عصور موغلة في القدم، حيث وردت إشارة في كتاب دليل البحر الأرتيري تسمي الساحل الأفريقي المطل على المحيط الهندي (في كينيا وتنزانيا حالياً) بالساحل الأوساني نسبة إلى الدولة الأوسانية اليمنية القديمة، التي تم القضاء عليها على يد دولة سبأ في مطلع القرن السابع قبل الميلاد، ما يعني أن الوجود الأوساني هناك يعود لفترة سابقة لسقوطها (القرن الثامن قبل الميلاد على أقل تقدير)، وهو ما يدل على ترسخ ذلك الوجود، بدليل استمرار مسمى الساحل الأوساني إلى زمن تأليف الدليل المشار إليه (في القرن الثالث الميلادي)، أي بعد قرابة ألف عام من سقوط دولة أوسان، حيث كانت المنطقة ماتزال تتبع اليمن، وكانت دولة حميّر هي من يتحكم بها خلال هذه المرحلة عبر ميناء موزع المطل على سواحل البحر الأحمر اليمنية بالقرب من مضيق باب المندب. وقد أعقب ذلك الوجود وجود سبئي في بلاد الحبشة، دلت عليه العديد من الآثار والكتابات وأسماء الحكام والمعبودات، تعود بداية ذكره في المصادر إلى القرن السادس قبل الميلاد على الأقل، واستمر حتى قيام دولة أكسوم على أنقاض ذلك الوجود في بداية العصور الميلادية، وظل تأثيره الحضاري مستمراً بعد ذلك لقرون عديده[45]. وفي نقشٍ لملك أكسومي مجهول عثر عليه في ميناء عدوليس الحبشي ويطلق عليه الدارسون تسمية النصب التذكاري لعدوليس، ويعود زمنه إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي تقريباً، نجد ذلك الملك صاحب ذلك النقش يتحدث عن حملات عسكرية امتدت من شمال السودان شمالاً إلى بلاد الصومال جنوباً، ومن سواحل البحر الأحمر شرقاً إلى بلاد الساسو غرباً، حيث تمكن ذلك الملك من إخضاع كل تلك البلاد (أثيوبيا وماجاورها) تحت سيطرته. ولعل ما يهمنا هو حديث

ذلك الملك عن حملة شنها قادته «ضد شعوب العرب والكنايدوكلبتاي[46] الذين يعيشون في الجانب الآخر من البحر، وبعد أن أخضَعتُ ملوكهم أمرتهم أن يدفعوا إتاوات بلادهم لينعموا بالسلام في البر والبحر، ثم شَنيتُ حرباً من لوكي كومي وحتى بلد السبئيين. كل هذه البلاد كنتُ أول ملك يخضعها، إذ لم يسبقني إلى ذلك أحد من الملوك، وذلك بفضل ونعمة إلهي أراس» [47]. ويتضح من النص أن ذلك الغزو الحبشي لمناطق عربية قد مثل أول عبور حبشي صوب الضفة العربية للبحر الأحمر، وغالباً كان ذلك بتحريض من الرومان أنفسهم، خصوصاً بعد فشل حملتهم العسكرية التي أرسلوها إلى اليمن، حيث فضلوا الاعتماد على دولة أكسوم الحبشية لتنفيذ أجندتهم في جزيرة العرب. فالملاحظ أن المنطقة التي سيطرت عليها دولة أكسوم في حملتها تلك قد تركزت بدرجة أساسية على تهامة الحجاز، وهي المناطق التي تقابل السواحل الرومانية في ولايتهم مصر. ساعد الرومان على ذلك أن دولة أكسوم الناشئة لم تحاول تحدي روما[48]، وهو ما جعل مصالح الدولتين تلتقيان ضد منافس واحد مشترك، متمثلاً بالدول العربية الجنوبية.ويرى البعض بأن السبئيين كانوا مؤيدين لذلك الوجود الحبشي في منطقة تهامة الحجاز، وأنهم ربما كانوا على اتفاق مع هذا الملك، بل من المحتمل أنهم ساعدوا ذلك الملك في غزوه لتلك المناطق[49]. وبغض النظر عن صحة ذلك الاستنتاج الذي لم يرد في النقش من عدمه، فما نعرفه من النقوش اليمنية القديمة أن دولة سبأ قد حاولت بالفعل استغلال ذلك التوسع الحبشي على حدودها الشمالية لتتحالف مع الأحباش ضد منافستها الصاعدة في جنوب جزيرة العرب دولة حمـيّر.

حيث تحدثنا تلك النقوش عن تحالف جمع بين الملك الأكسومي جدرة والملك السبئي علهان نهفان، وانضمت دولة حضرموت اليمنية القديمة إلى ذلك الحلف الذي كان موجهاً بدرجة أساسية ضد دولة حميّر[50]. وإذا عرفنا بأن الملك السبئي علهان نهفان قد حكم في حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي، فجدرة ملك أكسوم الذي تحالف معه قد يكون هو نفسه الملك الأكسومي صاحب النصب التذكاري لعدوليس سالف الذكر أو خليفته، نظراً لقرب المدة الفاصلة بين الحادثين، وبذلك قد يكون الملك السبئي علهان نهفان أراد من تحالفه مع الأحباش المتواجدين في منطقة الحجاز (وتمتد سيطرتهم حتى حدود دولته) بأن يأمن من خطر توسعهم صوب دولته، وليستفيد منهم في تحجيم قوة دولة حميّر الصاعدة التي كانت تشكل خطراً على نفوذ دولته، وهو ما حدا بالأكسوميين ليرحبوا بمثل هكذا تحالف، لأن

دولة حمير التي تمد سيطرتها على السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأحمر كانت تعد منافساً للدولة الأكسومية في تجارة ذلك البحر.

لكن دولة أكسوم الحبشية كانت تريد من تحالفها مع سبأ وحضرموت تحقيق أجندتها الخاصة بها وليس تحقيق أجندة الدولتين المتحالفتين معها، حيث نلاحظ أن الأحباش مدوا سيطرتهم على السواحل اليمنية المطلة على البحر الأحمر من مدينة نجران شمالاً إلى منطقة المعافر المطلة على مضيق باب المندب جنوباً، وهو ما جعل الملك السبئي شعرم أوتر بن علهان نهفان (حكم في الفترة الممتدة بين أواخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الميلادي) يغاير سياسة والده بالتحالف مع الأحباش، وبدلاً من ذلك صاغ تحالفاً سبئياً حميرياً ضد الأحباش، وقاد الجيشين السبئي والحميري واصطدم بالقوات الحبشية التي كان يقودها القائد بيجة بن الملك جدرت. وقد دفع ذلك بالأكسوميين الأحباش بتغيير محور تحالفهم في اليمن، حيث نفهم من النقوش المسندية أن الأحباش بقيادة ملكهم عذبة الذي خلف جدرة قد تحالفوا مع الحميريين ضد السبئيين، فقد خاض الملك السبئي إيل شرح يحضب الثاني وأخيه يأزل بيّن (في منتصف القرن الثالث الميلادي) معارك طاحنة ضد الأحباش والحميريين[51]. ومع ذلك نلاحظ بأن الحميريين قد تنبهوا لخطورة تحالفهم مع الأحباش، حيث نجد نقوشهم تتحدث عن حملات عسكرية شنها الملك الحميري ياسر يهنعم ضد القوات الحبشية بقيادة الملكين الحبشيين ذوتونس وزقرنس في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وكان ذلك آخر ذكر للأحباش في اليمن خلال هذه المرحلة بعد أن امتد وجودهم فيها لما يقارب قرن من الزمن، وتركز وجودهم فيها بدرجة أساسية في سواحل اليمن الغربية (تهامة اليمن)، حيث كانت دولة سبأ قد ضعفت، وتمكن الملك الحميري ياسر يهنعم أثناء حكمه المشترك مع ابنه شمّر يهرعش من القضاء على دولة سبأ في مارب نهائياً في عقد السبعينات من القرن الثالث الميلادي. وفي العقد الأخير من نفس القرن وبعد انفراد شمر يهرعش بالعرش الحميري تمكن من القضاء على دولة حضرموت، بينما كانت دولتي أوسان وقتبان قد انتهت في وقت سابق، وبذلك تمكنت حميّر من إخضاع كل منطقة جنوب الجزيرة العربية (اليمن القديم) لسيطرتها، وحَكَمتها حكماً منفردا[52] حتى مطلع القرن السادس الميلادي، عندما عاد الأحباش من جديد وتمكنوا من القضاء على دولة حميّر وإخضاع اليمن القديم لسيطرتهم المباشرة، وهو ما سنتناوله لاحقاً.

الحملات السبئية والحميّرية صوب شمال الجزيرة:

بعد أن تحولت كثير من البضائع القادمة من الهند وجنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا إلى طريق البحر الأحمر البحري، عوضاً عن المرور في طريق اللبان البري، ظلت البضائع ذات المنشأ العربي تسير في ذلك الطريق البري، وقد أدت قلة البضائع التي تمر في الطريق البري إلى ضعف العائد المادي لأبناء القبائل العربية الشمالية التي كانت مواطنها تقع على دروب ذلك الطريق، بفرعيه الشمالي والشرقي، وقد جعلهم ذلك يتمردون على الدول اليمنية القديمة التي كانت تنظم شؤون ذلك الطريق، ويهاجمون في بعض الأحيان القوافل التجارية بغرض سلبها ونهبها، وقد دفع ذلك الدول اليمنية القديمة (سبأ وحميّر على وجه الخصوص) لأن تغير استراتيجيتها في التعامل مع منطقة وسط الجزيرة العربية وشمالها، وبدأت لأول مرة في شن حملات عسكرية صوب تلك المناطق. وتعود أقدم الحملات العسكرية اليمنية القديمة المتجهة صوب شمال الجزيرة التي سجلتها لنا النقوش المسندية إلى عهد الملك السبئي شعرم أوتر في مطلع القرن الثالث الميلادي، حيث دونت لنا نقوشه العديد من الحملات العسكرية التي شنتها قواته ضد مدينة قرية ذات كهل (قرية الفاو حاليا جنوب غرب منطقة نجد في وسط جزيرة العرب) عاصمة دولة كِنْدَة في دهرها الأول الذي امتد وفقاً لما نملك من نقوش من القرن الأول الميلادي حتى مطلع القرن الرابع الميلادي، على أن وجود قرية ذات كهل على الفرع الشرقي لطريق اللبان التجاري يفترض أنها كانت موجودة منذ زمن بعيد قبل الميلاد كمحطة للقوافل، نظراً لتوفر الشروط الطبيعية نفسها التي جعلت منها بعد الميلاد إحدى مدن القوافل المزدهرة وحاضرة لدولة كندة في دهرها الأول[53]. ويرى البعض أن السبب الذي من أجله انطلقت تلك الحملات العسكرية السبئية صوب منطقة وسط جزيرة العرب، وأراضي دولة كندة بشكل خاص، يتمثل بتحريض الأحباش لكندة والقبائل التابعة لها أو المرتبطة بها للتمرد على سبأ، خصوصاً أن تلك القبائل قد ربطتها مصالح اقتصادية بالأحباش. إلى جانب الرغبة بتأمين الطرق التجارية البرية[54].

وقد استمرت الحملات العسكرية للملوك السبئيين صوب منطقة وسط الجزيرة العربية خلال منتصف القرن الثالث الميلادي، في عهد الملكيين إيل شرح يحضب الثاني وأخيه يأزل بيّن الذي حكم معه بشكل مشترك، حيث استمرت تلك الحملات على العاصمة الكِندية مدينة قرية ذات كهل، ويرى البعض أن الهجمات على مدينة قرية كانت بسبب تحالف كندة مع الأحباش ضد سبأ في عهد هذا الملك كما سبقت الإشارة[55]. ونعرف من خلال نقوش

أخرى لهذا الملك بأن الملك أرسل سفارات سياسية إلى ممالك قبَلية تقع في منطقة وسط الجزيرة، هي حسب ذكرها في تلك النقوش: كِنْدة ومَذحِج ونِزار وغَسان والأسْد[56]. وتشير تلك الممالك القبلية التي أشارت إليها هذه النقوش إلى نمط آخر من التشكيلات السياسية في جزيرة العرب، متمثلة باتحادات للقبائل البدوية قامت إلى جانب دول مدن القوافل الحضرية كالبتراء والحضر وتدمر، وذلك قبل ظهور دول لخم وغسان وكندة في دهرها الثاني[57]. وبعد سقوط دولتي سبأ وحضرموت وتوحيد منطقة جنوب الجزيرة العربية كلها تحت سيطرة دولة حمـيّر خلال العقد الأخير من القرن الثالث الميلادي كما سبق القول، واصلت دولة حمير سياسة شن الحملات العسكرية صوب منطقة وسط الجزيرة العربية، حيث تحدثنا نقوش الملك الحميري شمّر يُهرعش (أول تبابعة حمـيّر) الذي حكم في الفترة الممتدة بين أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الميلادي، عن حملات عسكرية شنتها قواته على القبائل القاطنة في منطقة السراة والسواحل المتاخمة لها (في مناطق عسير وجيزان الحاليتين)، وكان ذلك بسبب هجمات شنتها تلك القبائل على مناطق في عمق الدولة الحميرية، وتمكنت تلك الحملات من إلحاق هزيمة بالقبائل المهاجمة واستنقاذ الأسرى منها، وكذلك استرجاع ما كانت قد نهبته من أموال[58]. وخلال هذا العهد (عهد التبع الحميري شمر يهرعش) ظهر لقب كبير الأعراب، الذي تولى قيادة جيش الأعراب الموالي لدولة حمـيّر والمكون من العديد من القبائل المتبدية، وشكل رديفاً للجيش الرسمي الحمـيّري، وكانت قبيلتا كندة ومذحج هي أبرز تلك القبل التي تكّون منها ذلك الجيش الأعرابي. وإلى عهد الملك شمر يهرعش يعود نقش يتحدث فيه مدونه أن سيده شمر يهرعش قد كلفه بقيادة حملات عسكرية في منطقة وسط الجزيرة العربية، ثم يذكر إنه استمر ماضياً حتى وصل قطوصف وكوك مملكتي فارس، وأرض تنوخ، وأنه عاد بعد أن أدى مهمته بنجاح[59]. ويرى بعض الباحثين أن قطوصف هي طيسفون، وكوك هي المدائن[60]. وقد اختلف الدارسون حول مضمون ذلك الوصول إلى مناطق مملكة الفرس، بين قائل أنه مثل حملة عسكرية[61]، وبين من يعتبرها مجرد سفارة دبلوماسية ليس إلا[62]، وبين قائل أنه لا يتضح من خلال النقش تماماً إن كان ذهاب مدون النقش إلى تلك المناطق بمثابة غزوة أم سفارة[63]. ونحن هنا نرجح الرأي القائل بأنها سفارة، نظراً لما يذكره المؤرخين من وجود علاقة ودية كانت تربط بين فارس وحمـيّر خلال هذه الفترة[64]، إلى جانب عدم ذكر المصادر الفارسية – فيما نعلم- لأي حملة عسكرية حميّرية ضد المملكة الفارسية أو المناطق الخاضعة لها، وفي كل الأحوال فما ذكره النقش

الحميّري يدل على مدى امتداد نفوذ الدولة الحميّرية في جزيرة العرب آنذاك. ويحدثنا نقش عبدان الكبير عن حملات عسكرية قام بها القادة اليزنيون خدمة لملوك حمير خلال النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، حيث جابت تلك الحملات أرجاء الجزيرة العربية، ووصل بعض تلك الحملات إل يبرين وهجر وإياد والجو (اليمامة) والخرج[65] (بالقرب من مدية الرياض الحالية). وتواصل النقوش المسندية حديثها عن حملات عسكرية شنها تبابعة حميّر صوب منطقة شمال الجزيرة طوال القرن الخامس الميلادي حتى مطلع القرن السادس الميلادي، ابتداءً من التبع الحميري الأشهر أسعد الكامل (أبي كرب أسعد في النقوش) الذي حكم في الفترة الواقعة بين أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الميلادي، حيث ترك لنا نقشاً في منطقة مأسل الجمح في نجد يتحدث فيه عن حملة عسكرية شنها على قبائل معد، وهو ما أكدته كتب أهل الأخبار بحديثها عن حملات لهذا التبع جابت منطقة شمال الجزيرة العربية بما فيها مدينة يثرب، وتم إضافة الأعراب إلى اللقب الملكي الحميري، وصار الملك الحميري يسمي نفسه «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم في الطود وتهامة»، وأصبح التبع الحميّري خلال هذه المرحلة للعرب بمثابة الخليفة للمسلمين، وقد عكس ذلك التقارب بين سكان الجزيرة العربية وازدياد دور القبائل البدوية في الدولة الحميّرية واختلاطها بالقبائل الجنوبية المتحضرة، وبلغت الدولة الحميرية بذلك أقصى امتداد لها، وشملت معظم أنحاء الجزيرة العربية[66]. واستمر ذلك الوضع حتى مطلع القرن السادس الميلادي، حيث تحدثنا نقوش التبع الحميري معدي كَرِب يعفر (آخر ملك حميري يحمل لقب التبابعة الطويل) عن حملة عسكرية شنها صوب منطقة وسط الجزيرة العربية لمساندة الدولة الكندية ضد الملك اللخمي المنذر الثالث، وانتهت الحملة بالصلح بين الجانبين، وتسليم الملك اللخمي ابنه رهينة للملك الحميري. وكانت دولة كندة في دهرها الثاني تمر خلال هذه المرحلة بحالة من الضعف، وذلك بعد أن أقامها الحميّريون في مطلع القرن الخامس الميلادي لتكون ممثلة لنفوذهم في منطقة وسط الجزيرة العربية وشمالها، لتؤدي لهم دور مشابه لما كانت تؤديه الإمارة اللخمية للفرس والإمارة الغسانية للروم البيزنطيين، واستمرت تؤدي ذلك الدور حتى سقوط الدولة الحميرية على يد الأحباش في مطلع القرن السادس الميلادي، حيث دخلت دولة كندة بعدها بمرحلة من الضعف انتهت بسقوط تلك الدولة في أواخر القرن السادس الميلادي، ومن ثم عودة قبيلة كندة إلى مواطنها الأولى في منطقة حضرموت بأرض اليمن[67].

سقوط الحضارة اليمنية القديمة على يد الأحباش:

ذكرنا سابقا أن الأحباش كانوا قد تمكنوا من إيجاد موطئ قدم لهم في المناطق الغربية من اليمن، وأن وجودهم هناك قد استمر قرابة قرن من الزمان، من النصف الثاني للقرن الثاني الميلادي عندما استدعاهم الملك السبئي علهان نهفان، واستمر حتى النصف الثاني من القرن الثالث عندما طردهم من اليمن الملك الحميري ياسر يهنعم. لكننا نجدهم وقد عادوا للتدخل في شؤون اليمن مستغلين ضعف الدولة الحميرية في مطلع القرن السادس الميلادي.

ويسود الاعتقاد بأن الملك الحميري معدي كرب يعفر (الذي كان آخر ملك حميري يحمل لقب التبابعة الطويل كما ذكرنا أعلاه) كان نصرانياً معترفاً بالحماية الحبشية على بلاده[68]، ويعتمدون في ذلك على ما ذكره شمعون الإرشامي بصدد الرسالة التي بعث بها الملك الحميّري ذي نواس (خليفة معدي كرب يعفر على العرش الحميري) إلى المنذر الثالث ملك الحيرة، وجاء فيها: «ولتعلم أن الملك الذي نصبه الكوشيون (الأكسوميون) ببلادنا قد مات، وجاء في وقت الشتاء، فلم يعد بمقدور الكوشيين العبور إلى بلادنا لتنصيب ملك نصراني كما جرت العادة»[69]. وتذكر المصادر العربية والسريانية أن الملك ذي نواس (يوسف أسأر يثأر في النقوش) قد استلم مقاليد السلطة في الدولة الحميّرية خليفة للملك معدي كرب يعفر (ذو شناتر في المصادر العربية)، وتخلى ذي نواس عن لقب التبابعة الطويل، ولقب نفسه بملك كل الشعوب، وقد اختلفت التفسيرات حول ذلك، وغالب الظن أنه فعل ذلك بسبب انحسار سلطته وعدم شمولها لكل المناطق الواردة في ذلك اللقب الطويل (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم في الطود وتهامة). ونعرف من خلال النقوش المسندية التي تم العثور عليها حتى الآن بأن آخر نقش مسندي يعود إلى زمن الملك معدي كرب يعفر مؤرخ بعام 516م، بينما يؤرخ أقدم نقوش الملك ذي نواس بالعام 518م، ما يعني أن انتقال السلطة إليه قد يكون تمت في العام 517م[70]. ونعرف من النقوش التي تركها لنا هذا الملك أنه قد اضطر لأن يخوض حرباً شرسة ضد النصارى في اليمن ومعها حامية حبشية كانت تتواجد في العاصمة الحميرية ظفار من عهد سلفه الموالي للأحباش، وامتدت حملاته إلى المناطق الساحلية في محاولة لتحصين تلك المناطق ضد غزو حبشي كان يتوقعه. وتخبرنا المصادر العربية والسريانية بأن الملك الذي اعتنق الديانة اليهودية قد نكل بنصارى مدينة نجران وأحرقهم في الأخدود، وهو ما جعلهم يستنجدون بالإمبراطور البيزنطي، الذي تحجج لهم

ببعد الشقة بين بلاده واليمن، ووعدهم بالكتابة إلى الملك الحبشي. وغالب الظن بأن بيزنطة لم تشأ التدخل في اليمن، ليس بسبب بعد الشقة، ولكن عملاً بوصية الإمبراطور الروماني أغسطس المشار إليها أعلاه، التي تركها بعد فشل حملته على اليمن، وطلب فيها من خلفائه عدم تجاوز الحدود التي وهبتها الطبيعة لدولتهم. وهو ما جعلها تعتمد على استراتيجية جديدة تدعم من خلالها الأحباش ليكونوا في مواجه العرب. وبعيداً عن تكرار تفاصيل معروفة تخص الغزو الحبشي لليمن، فقد انتهى الأمر باكتساح الأحباش لليمن بعون مادي بيزنطي، حيث تمكن الأحباش من قتل آخر ملك حميري (ذي نواس) والقضاء على الدولة الحميّرية في عام 525م تقريباً، وسقوط الحضارة اليمنية القديمة بعد آلاف من السنين سادت خلالها، حيث نصب الأحباش حاكماً يمنياً موالياً لهم ليدير اليمن تحت سيطرتهم، في ظل بقاء جيش لهم في اليمن، وقد حمل ذلك الحاكم اليمني صنيعة الأحباش المسمى سميفع أشوع لقب تبابعة حمـيّر الطويل، وظل في موقعه ذاك إلى أن قرر القائد الحبشي أبرهة الثورة عليه وإزاحته من موقعه، حيث أعلن أبرهة نفسه والياً للملك الأكسومي في الحبشة، وتلقب أيضا بلقب التبابعة الطويل (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم في الطود وتهامة)، وتعامل مع اليمن باعتبارها مملكة خاصة به وبأولاده من بعده. وبعد ثورات قام بها اليمنيون ضد الاحتلال الحبشي استقرت الأوضاع لأبرهة، وبدأ يعد العدة لحملات عسكرية تتوجه صوب شمال الجزيرة، حيث سجلت لنا النقوش إحدى تلك الحملات التي توجهت إلى منطقة نجد لمقارعة نفوذ المناذرة الموالين للفرس في عام 547م، وسجل لنا القرآن الكريم في سورة الفيل حملة أخرى توجهت صوب مكة في عام 571م، وقد حاول بعض الدارسين الخلط بين الحملتين واعتبارهما حملة واحدة، وقد أثبتنا من خلال بحث قيد النشر بأن كل حملة تمت على حدة[71]. وكان هدف البيزنطيين من خلال دعمهم لسيطرة الأحباش على اليمن ثم الحجاز بأن يحكموا قبضتهم على الطريق التجاري المار في البحر الأحمر وظهيره البري، مع السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، بحيث يصبح هذا الطريق تحت سيطرتهم مقابل سيطرة خصومهم الفرس على طريق الحرير، ولذلك فقد كان من مصلحة الدولة البيزنطية استقلال أبرهة باليمن كونه كان يعتنق الديانة المسيحية على مذهبها وليس على مذهب الدولة الأكسومية، لأنه في صغره كان عبداً لتاجر بيزنطي في ميناء عدوليس الحبشي، وبالتالي سيجعله ذلك ينفذ مشاريعها في الجزيرة العربية الرامية لتحجيم نفوذ خصومها الفرس هناك[72].

لكن فشل أبرهة في حملته المتوجهة صوب نجد بحسم الأمر لصالحه وعقده لصلح مع الملك عمرو بن المنذر الثالث المشهور بعمرو بن هند، وكذلك النتيجة المأساوية له ولجيشه في حملة أصحاب الفيل الشهيرة[73] لابد أنها قد فرملت المشروع البيزنطي، وجعلت الأمور تسير في اتجاه مختلف لرغبات بيزنطة، وهو ما سيتضح لنا في الفقرات اللاحقة من هذا البحث.

نشوء طريق الإيلاف على أنقاض شبكة طريق اللبان:

الإيلاف أو إيلاف قريش هو تلك العِصَم (العهود) التي أخذها هاشم بن عبد مناف وإخوته (المطلب وعبد شمس ونوفل) من ملوك الروم (البيزنطيين) واليمن الحبشة والعراق، لتأليف رحلة الشتاء والصيف المذكورة في القرآن الكريم (سورة قريش)[74]. وقد كان نشوء الإيلاف في أوائل القرن السادس الميلادي على أنقاض الشبكة التجارية اليمنية القديمة (طريق اللبان)، حيث استغل المكّيون سقوط اليمن بيد الأحباش، وأصبحت مدينتهم هي مركز التجارة الأول في غرب الجزيرة العربية[75]. وقد استطاع الإيلاف أن يعيد تنشيط التجارة الدولية للجزيرة العربية مع محيطها، إلى جانب تنشيط تجارة عربية داخلية روجتها الأسواق العربية الموسمية التي قامت في طول الجزيرة العربية وعرضها، وكان على رأسها سوق عكاظ، حيث ارتبطت تلك الأسواق بدورة تجارية منتظمة على مدار العام[76]. وغالباً فذلك الرواج التجاري لتجارة الإيلاف كان هو السبب وراء الحملة الحبشية سالفة الذكر التي قادها أبرهة الحبشي من اليمن صوب مكة، فرغم قول المصادر العربية الإسلامية بأن سبب حملة أبرهة على مكة كان هو الانتقام من العرب الذين أهانوا كنيسة أبرهة التي أقامها في صنعاء (القلّيس)[77]، لكن يبدو أن ذلك السبب المتلفع بالدين كان هو السبب المعلن من قِبل أبرهة، لكنه كان يخفي من ورائه أسباباً أخرى (سياسة واقتصادية) كانت بمثابة المحرك الفعلي لانطلاق حملته هذه صوب مكة. ويتفق أغلب الدارسين المحدثين على أن الهدف الحقيقي لحملة أبرهة على مكة كان هو السيطرة على تجارة الحجاز (خصوصاً إيلاف قريش)، ومن ثم التحكم بطرق التجارة التي كانت تربط الشام باليمن[78]. بل إن بعضهم يعد هذه الحملة بمثابة الهدف الحقيقي للاحتلال الحبشي اليمن[79]. وخلاصة القول إن الحوافز الدينية والاقتصادية قد تداخلت وتكاملت مع بعضها؛ فحصر النفوذ التجاري لمكة والسيطرة على مصدر ثروتها يتطلب تدمير الحرم المكي، ولذلك لابد من اجتذاب العرب إلى حرم جديد يحجون إليه ويردون أسواقه، ليصبح هو المركز التجاري الجديد في جزيرة العرب. ويبدو أن أبرهة قد رُوّع للتوفيق التجاري المتعاظم الذي أصابته مكة، والمكاسب

المالية التي كانت تجنيها من تجارتها، ولاشك أنه أدرك مقدار مساهمة الحرم المكي في بلوغ مكة هذا المبلغ من النجاح، فإذا كان لابد من حصر نفوذ مكة والاستيلاء على مصدر ثروتها، فلابد من تدمير حرمها وجعل العرب يحجّون إلى حرم آخر بدلاً عنه، وبالتالي اجتذابهم إلى مركز تجاري جديد[80].

لكن حملة أصحاب الفيل كما هو معروف انتهت بالفشل، وتمخضت عنها نتائج غير التي كان يريدها أبرهة وحلفائه البيزنطيين، حيث احتكر العرب (خصوصاً قريش) للطريق التجاري المار عبر الحجاز[81]، وكذلك ازدياد مكانة قريش بين العرب، وذلك أنه لما «رد الله الحبشة عن مكة... أعظمت العرب قريشاً، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم، وكفاهم مئونة عدوهم»[82]. وهكذا فبدلًا مما كان أبرهة يرغب فيه من إضعاف مكة، أصبحت هزيمته فيها من عوامل ازدياد شهرتها[83].

امتداد النفوذ الفارسي إلى جنوب الجزيرة العربية:

بعد موت أبرهة متأثراً بجروحه التي تعرض لها في حملة أصحاب الفيل على مكة حكم بعده على التوالي ولديه يكسوم (من أم حبشية) ومسروق (من أم يمنية)، وقد اشتدوا على اليمنيين، وكان كلٌ منهما أشر من أخيه، فضاق اليمنيين بهما ذرعاً وتمنوا تحرير بلادهم منهم. وقد تزعم الثورة ضدهما الثائر اليمني المعروف سيف بن ذي يزن، الذي حاول الاستعانة بالبيزنطيين، لكنهم رفضوا تقديم العون له[84]، وكان ذلك متوقعاً كون البيزنطيين يدعمون أبرهة كما سبق القول، وسخروه لتنفيذ مشاريعهم الخاصة ضد الفرس وحلفائهم في الجزيرة العربية، وكان من الطبيعي أن يواصلوا دعمهم لأولاده الذين ورثوا الحكم من بعده. وتحكي المصادر أن سيف بن ذي يزن قد استعان بالأمراء اللخمين للتوسط له لدى الفرس، من أجل تقديم العون له لتحرير بلده من الأحباش، ورغم قول تلك المصادر بأن كسرى الفرس (خسرو الأول) قد تمنع في بداية الأمر عن تقديم العون لسيف بن ذي يزن[85]، لكن في واقع الأمر فقد كان الفرس في انتظار مثل هذه الفرصة، ولم يكونوا ليفرطوا بها، فهي تمكنهم من التواجد في اليمن وتضييق الخناق على البيزنطيين وحلفائهم الأحباش في تجارتهم المارة عبر البحر الأحمر، وعدم الاكتفاء بتحكم الفرس فقط بالتجارة المارة عبر طريق الحرير. ورغم قول معظم المصادر العربية بأن كسرى قد مد سيف بن ذي يزن بثمان مئة سجين فقط؛ وصل منهم إلى اليمن ست مئة سجين[86]، ورغم رفض بعض تلك المصادر لذلك العدد، وقولهم إن الجنود الفرس الذين وصلوا إلى اليمن بلغوا سبعة آلاف وخمس مئة[87]، ثم أضاف إليهم من في سجونه من المجرمين[88]. وفي كل الأحوال لا يمكن

لذلك العدد أن يحرر اليمن من الأحباش، خصوصاً أن تلك المصادر تذكر بأن عدد جيش مسروق بن أبرهة كان يبلغ مئة ألف مقاتل، وبالتالي فالتحرير تم على يد أبناء اليمن، الذين رفع العون الفارسي من معنوياتهم وجعلهم ينضمون لذلك الجيش، فالطبري[89] يذكر لنا بأن سيف قد وعد وهرز قائد الجيش الفارسي بأن يقاتل العرب في صف الجيش الفارس حتى الموت أو الظَّفَر. وقد انتهت المعارك بانتصار الفرس ومن معهم من اليمنيين على الأحباش عام 575م، بعد مقتلة كبيرة تمت في صفوف الأحباش ومقتل ملكهم مسروق بن أبرهة، تم تنصيب سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن، في ظل اعترافه بالولاء للفرس ودفع الجزية لهم. لكن الملك سيف سرعان ما قتل على يد حراسه الأحباش من رماة الحراب الذين استبقاهم لديه[90]. وقد اختلفت الروايات عن الدافع لمقتل سيف بن ذي يزن بين من يرى أنهم فعلوا ذلك انتقاماً لقومهم، وبين قائل أنهم إنما فعلوه بتحريض من الفرس الذين كانوا يرغبون بالسيطرة المباشرة على اليمن، خصوصاً أن الفرس بعد مقتل الملك سيف لم يسعوا لتنصيب خليفة له، لكنهم جعلوا من اليمن ولاية فارسية يعينون عليها الولاة الفرس، وظل ذلك الوضع حتى ظهور الإسلام ودخول باذان الفارسي آخر والي فارسي في اليمن في الدين الجديد. وقد مثل طرد الأحباش من اليمن ضربة قوية لمصالح بيزنطة، لأن أبرهة وولديه من بعده كانوا قد ضمنوا لها إبعاد النفوذ الفارسي عن تجارة البحر الأحمر. وبذلك فإن سيطرة الفرس على اليمن قد ترتب عليها مصاعب إضافية في البحر الأحمر والمحيط الهندي للبيزنطيين وحلفائهم الأحباش، وهو ما جعل بيزنطة أشد اضطراراً للاعتماد على قوافل التجارة المكية في استيراد ما تحتاجه من البضائع الشرقية[91].وقد سيّر الفرس قوافل تجارية من عاصمتهم المدائن ومن مناطق أتباعهم في الإمارة اللخمية. حيث أصبح الوالي الفارسي في اليمن يرسل القوافل من صنعاء إلى المدائن، ويستقبل القوافل التي تأتيه من هناك، ويرسل لكسرى بما يحتاجه من أسواق اليمن، وقد سيطر الفرس على أسواق التجارة الكبيرة في اليمن كسوق صنعاء وسوق عدن[92]. كما أخذ ملوك الحيرة يرسلون بلطائمهم (قوافلهم التجارية) إلى اليمن للبيع والشراء. وقد أثر كل ذلك في تجارة أهل مكة، حيث انتزع الفرس وملوك الحيرة من أيديهم قسطاً من أرباحهم[93]. ونختتم الحديث هنا بإشارة وردت لدى حمزة الأصفهاني نفهم منها أنه كان من مهام الولاة الفرس في اليمن مراقبة الأوضاع في المناطق المحيطة بها، بما في ذلك الجزيرة العربية كلها، حيث يشير أن باذان الوالي الفارسي في اليمن كان قد بعث رسالة إلى كسرى أبرويز يخبره فيه بظهور

دعـوة النبـي محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم في مكـة، حيـث جـاء في رسـالته «ظهـر في جبـال تهامـة داعيـة خفـي أمـره، قليـل شـيعته، وقـد وتِرتـه العـرب، ونصبـت لـه الحـرب إلا اليسـير ممـن أجابـه واتبعـه»[94]. وبظهـور الإسـلام وتكّـون دولتـه التـي شـملت كل الجزيـرة العربيـة، بـل وامتـدت لتسـقط الدولـة الفارسـية نفسـها، وتنتـزع مـن الدولـة البيزنطيـة ولاياتهـا في آسـيا وأفريقيـا، انتفـت الحاجـة للإيـلاف، وأصبحـت القوافـل التجاريـة تسـير في أرض تتبـع دولـة واحـدة[95]. وهيمنـت تلـك الدولـة عـلى طريـق البحـر الأحمـر، وصـار لهـا تجارتهـا مـع الهنـد وعالـم المحيـط الهنـدي، بـل وصـارت بمثابـة الشريـك التجـاري الرئيـس لتلـك البلـدان، وعبرهـا يتـم نقـل البضائـع الشرقيـة صـوب أوروبـا[96].

الخاتمة:

هكـذا يتضـح لنـا بـأن الطـرق التجاريـة التـي كانـت تربـط بـين عالمـي المحيـط الهنـدي والبحـر المتوسـط (بشـقيها البـري والبحـري) قـد شـهدت صراعـاً دوليـاً متشـعباً بغـرض السـيطرة عليهـا، امتـد مـن أواخـر القـرن الرابـع قبـل الميـلاد بظهـور الاسـكندر المقدونـي في الـشرق، وانتهـى في مطلـع القـرن السـابع الميـلادي بظهـور الإسـلام وتكويـن دولتـه الفتيـة التـي امتـدت مـن الصـين شرقـاً إلى فرنسـا غربـاً، مـروراً بالبطالمـة والرومـان والبيزنطيـين، وبمـن عاصرهـم مـن الفرس والأحبـاش والعرب.وقـد أوضحنـا في ثنايـا البحـث مراحـل الـصراع التـي مـرت بهـا منطقـة البحـر الأحمـر وظهيرهـا الـبري، حيـث هيمنـت الدولـة الإسـلامية الناشـئة في نهايـة المطـاف عـلى طـرق التجـارة تلـك، وبذلـك تولـت هـي عمليـة التنسـيق في نقـل البضائـع المتداولـة بـين الـشرق والغـرب، ودخلنـا بذلـك في مرحلـة جديـدة ليسـت مـن ضمـن الفـترة التـي تخصـص بحثنـا هـذا بدراسـتها.

أهم النتائج:

- هيمنت الدول اليمنية القديمة على طريق اللبان قرابة ألفي عام (من مطلع الألف الأول قبل الميلاد إلى بداية العصر الميلادي.
- تضافرت عوامل عدة، وعملت على تحويل التجارة الدولية – أو معظمها بتعبير أدق- لطريق اللبان البري صوب البحر الأحمر منذ أواخر القرن الأول قبل الميلاد.
- كان للمنافسة الأوروبية (الإسكندر المقدوني، البطالمة، الرومان، البيزنطيون) إلى جانب دولة أكسوم الحبشية الدور الأبرز في ذلك التحول.
- استعاد الطريق البري جزءا مهما من نشاطه على يد إيلاف قريش، وظل ذلك التنافس بين الطريقين البري والبحري بين مد وجزر، بناء على قوة هذا الطرف السياسي وضعف ذاك، وبناء على مصلحة الطرف المهيمن في الاتجاه الذي يجب أن تسلكه البضائع التي يتم الاتجار بها بين الشرق والغرب.

التوصيات:

- توصي الدراسة بضرورة العمل على إحياء طريق اللبان التجاري التاريخي بشكل معاصر للربط بين الدول العربية، أسوة بما تفعله الصين من إحياء لطريق الحرير التاريخي.
- تكثيف التعاون بين دول حوض البحر الأحمر للمحافظة على أمنه بشكل مشترك، وزيادة التعاون والتنسيق بين دوله في مختلف المجالات؛ الاقتصادية منها بشكل خاص، وتجنيبه التدخلات الدولية القادمة من خارج المنطقة.

المصادر والمراجع

(1) عن أهمية المحيط الهندي والبحر المتوسط والموقع الجغرافي المتميز لجزيرة العرب الممتدة بينهما، انظر: أبوالغيث، عبدالله. النشاط التجاري اليمني القديم وصلاته بالهند، مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 55، 20011م، ص 57-58.

(2) عبدالله، يوسف محمد. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م، ص222.

(3) مثلًا: عبدالله، أوراق، ص222.

(4) ديمانج، فرانسواز. قوافل البخور، ضمن كتاب طرق التجارة القديمة، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 2010م، ص124.

(5) الهاشمي، رضا جواد، آثار الخليج والجزيرة العربية، بغداد، 1984م، ص275-279.

(6) عن الأزمنة الواردة في هذا المقطع انظر: مجموعة مؤلفين. عُمان في التاريخ، دار اميل للنشر المحدودة، لندن، 1995م، ص100.

(7) السيوطي جلال الدين والمحلي جلال الدين. تفسير الإمامين الجلالين، بيروت، 1987م، تفسير سورة يوسف الآية 19، ص304-305.

(8) أبوالغيث، عبدالله. فجر الحضارة العربية القديمة.. رؤية تاريخية حول حضارات الأقوام العربية العتيقة (عاد، ثمود، مدين)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد88، 2009م، ص8.

(9) مهران، محمد بيومي. دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ج1 بلاد العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص260.

(10) مرسي، محمد إبراهيم. أضواء على ملكة سبأ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية 9، الرسالة 49، 1988م، ص16.

(11) روبان، كريستيان جوليان. العصور القديمة، ضمن كتاب: طرق التجارة القديمة، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 2010م، ص82-83.

(12) عبدالله، أوراق، ص220-222.

(13) يحيى، لطفي عبدالوهاب. العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص315.

(14) العنزي، سالم سمران. طرق القوافل وآثارها في شمال جزيرة العرب، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، 2007م، ص66.

(15) أبوالغيث، عبدالله. العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس الميلادي، ج1، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م، ص49.

(16) نقلاً عن: زيادة، نقولا. دليل البحر الإرثيري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، ضمن كتاب الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، 1984م، ص274-276.

(17) سحاب، فكتور. إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، 1992م، ص41-47.

(18) ناشر، هشام عبدالعزيز. التجارة بين شبه الجرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2003م، ص122-149.

(19) أبوالغيث، النشاط التجاري اليمني القديم، ص72-73.

(20) نقلاً عن: الشيبة، عبدالله حسن. ترجمات يمانية (العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية)، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2008م، ص59.

(21) فرح، أبواليسر. الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2002م، ص36-38.

(22) الشيبة، عبدالله حسن. دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، تعز، 2000م، ص18.
(23) الناصري، سيد أحمد علي. الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، ضمن كتاب: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م، ص407-416.
(24) الناصري، الصراع على البحر الأحمر، ص419.
(25) عبدالعليم، مصطفى كمال. تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، ضمن كتاب: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م، ص203.
(26) الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص20.
(27) أبوالغيث، النشاط التجاري اليمني القديم، ص63-64.
(28) الناصري، الصراع على البحر الأحمر، ص421.
(29) Van Beek, Gus, Pre-Islamic South Arabian Shipping in the Indian Ocean JOAS, New Haven ASOR, 1960, vol 80, pp.136-139.
(30) أبوالغيث، النشاط التجاري اليمني القديم، ص60-61.
(31) الناصري، سيد أحمد علي. الرومان والبحر الأحمر، مجلة الدارة، العدد2، السنة السادسة، تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص22.
(32) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض، 1436هـ، ص41.
(33) Strabo: Th Geography, translates by Horace Leonard Jones, the Loeb Classical Library London and New York, 1930, IV , sec. 22-24.
(34) أبوالغيث، عبدالله. قراءة تاريخية لتدوينات الكُتاب الإغريق عن جنوب جزيرة العرب..استرابون أنموذجاً، مجلة شؤون العصر، العدد48، صنعاء، 2013م، ص134-136.
(35) أبوالغيث، قراءة تاريخية لتدوينات الكُتاب الإغريق، ص136.
(36) بخصوص وصية أغسطس ودوافعها، انظر: سحاب، إيلاف قريش، ص53-56.
(37) Strabo: Th Geography, IV,sec.19,22.
(38) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص51.
(39) الذييب، الحملة الرومانية الأولى، ص45.
(40) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ص312-335.
(41) نقلًا عن: الشيبة، ترجمات يمانية، ص79.
(42) عن تلك الاختلافات انظر: الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص27-30.
(43) عن التقديرات الجديدة لزمن تأليف كتاب دليل البحر الأرتيري، انظر: عبدالله، يوسف محمد. مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأرتيري، مجلة ريدان، عدن، 1988م، ص101-113.
(44) الشيبة، عبدالله حسن. محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2006م، ص88، 99.
(45) أبوالغيث، عبدالله. الازدهار والتواصل الحضاري القديم في منطقة تعز (المعافر)، ضمن كتاب: تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور، مؤسسة السعيد للعلوم الثقافية، تعز، 2010م، ص54، 55.
(46) الكنايدو كلبتاي: يرى البعض أنها تعني لصوص البحر (القراصنة)، بينما يرى البعض الآخر أن المقصود بها دولة كِندة في دهرها الأول التي كانت تقوم خلال هذه الفترة في المنطقة الواقعة جنوب

غرب نجد وما جاورها، وكانت عاصمتها مدية قرية ذات كهل الوقعة في ذلك المكان، قرية الفاو حالياً.

(47) الشيبة، محاضرات في تاريخ الحبشة، ص93-95.

(48) عن عدم تحدي أكسوم لروما، انظر: الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص16.

(49) Rossini, Conti,Storia d, Ethiopia, Bergam, 1928, pp.120.

(50) الأشبط، علي عبدالرحمن. اليمن والحبشة من القرن الأول حتى القرن السادس الميلادي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2012م، ص111.

(51) الشيبة، محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، ص111-113.

(52) أبوالغيث، عبدالله. الأوضاع السياسية في دولة سبأ خلال القرن الثالث الميلادي، مجلة الإكليل، صنعاء، العدد29، 2006م، ص49، 50.

(53) أبوالغيث، عبدالله. دولة كندة في دهرها الأول وعلاقتها باليمن، ضمن كتاب: صنعاء الحضارة والتاريخ، مج1، المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية، صنعاء، 2005، ص33-35.

(54) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص59، 60.

(55) أبوالغيث، دولة كندة في دهرها الأول، ص35، 36.

(56) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص76، 77.

(57) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ص60.

(58) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص87، 88.

(59) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص92، 93.

(60) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ص59.

(61) Wissmann, H. V. Himyar Ancient History, Le Museon, 77, 3-4, 1964, pp.487.

(62) شهيد، عرفان. حملة امرؤ القيس على نجران.. المصادر غير المنشورة، ضمن كتاب: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج1، مطابع جامعة الرياض، الرياض، 1399هـ، ص75.

(63) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ص59.

(64) لوندين، أ. ج. الموظف الدبلوماسي السبئي، ترجمة: قائد محمد طربوش، مراجعة: محمد أحمد علي، مجلة الإكليل، العدد2، السنة السادسة، 1988م، ص21.

(65) بافقيه، محمد عبدالقادر. هوامش على نقش عبدان الكبير، مجلة ريدان، العدد4، 1981م، ص33-38.

(66) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج2، ص15-20.

(67) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج2، ص25-30، 76-112.

(68) كوبيشانوف، يوري ميخايلوفتش. الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية، ترجمة: صلاح الدين هاشم، عمّان، 1988م، ص31.

(69) يعقوب الثالث، اغناطيوس. الشهداء الحميّريون العرب في الوثائق السريانية، دمشق، 1966، ص43، 113.

(70) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج2، ص3331-.

(71) أبوالغيث، عبدالله. حملة أبرهة الحبشي على منطقة وسط الجزيرة العربية المذكورة في نقش مسندي وعلاقتها بحملته على مكة المذكورة في القرآن الكريم، مجلة الإصباح، بوردو- فرنسا، العدد الخامس، يوليو 2020م، ص-76 91.

(72) سحاب، إيلاف قريش، ص47-48، 138-142.

(73) انظر تفاصيل الحملتين في: أبوالغيث، حملة أبرهة على منطقة وسط الجزيرة العربية، ص-76 91.

(74) لبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، 1959م، ص59.
(75) سحاب، إيلاف قريش، ص195، 212.
(76) عن تلك الأسواق وأماكنها ومواعيدها، انظر: أبوالغيث، عبدالله. بلاد العرب في التاريخ القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، صنعاء، 2007م، ص213-221.
(77) ابن هشام، أبومحمد عبدالملك. السيرة النبوية، مج1، ج1، تحقيق: محمد شحاتة إبراهيم، مكتبة فياض، القاهرة، 1990م، ص30-32.
(78) مثلاً: لوندين. أ. ج. اليمن إبان القرن السادس الميلادي، الحلقة الرابعة، مجلة الإكليل، العدد الأول، السنة الثامنة، 1990م، ص22.
(79) هبو، أحمد أرحيم، تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة حلب، حلب، 1990م، ص104.
(80) سحاب، إيلاف قريش، ص165.
(81) جليان، عطاء الله. مجتمع قريش السياسي والديني في عام الفيل، بيروت، 1987م، ص14.
(82) ابن هشام، السيرة النبوية، مج1، ج1، ص37.
(83) الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص33.
(84) الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص33.
(85) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، ج1، تحقيق: مصطفى السيد و طارق سالم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص444.
(86) الطبري، ج1، ص443.
(87) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، 1969م، 368، 664.
(88) المسعودي، أبوالحسن علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، 1973م، ص81.
(89) الطبري، ج1، ص444.
(90) الطبري، ج1، ص444، 448.
(91) سحاب، إيلاف قريش، ص147.
(92) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد. اليمن في صدر الإسلام، دار الفكر، دمشق، 1987م، ص27، 28.
(93) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م، ص115.
(94) الأصفهاني، حمزة بن الحسن. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م، ص114ن 115.
(95) سحاب، إيلاف قريش، ص416، 417.
(96) لمزيد من التفاصيل عن أحداث هذه المرحلة، انظر: عثمان، شوقي عبدالقوي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، كتاب عالم المعرفة رقم 151، 1990م.

المصادر والمراجع:
أولاً: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

(1) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، 1969م.

(2) ابن هشام، أبومحمد عبدالملك. السيرة النبوية، مج1، ج1، تحقيق: محمد شحاتة إبراهيم، مكتبة فياض، القاهرة، 1990م.

(3) أبوالغيث، عبدالله. الازدهار والتواصل الحضاري القديم في منطقة تعز (المعافر)، ضمن كتاب: تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور، مؤسسة السعيد للعلوم الثقافية، تعز، 2010م.

(4) ـــــــــــــــــــــــــــــــ الأوضاع السياسية في دولة سبأ خلال القرن الثالث الميلادي، مجلة الإكليل، صنعاء، العدد29، 2006م.

(5) ـــــــــــــــــــــــــــــــ العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس الميلادي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م.

(6) ـــــــــــــــــــــــــــــــ النشاط التجاري اليمني القديم وصلاته بالهند، مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 55، 20011م.

(7) ـــــــــــــــــــــــــــــــ بلاد العرب في التاريخ القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2007م.

(8) ـــــــــــــــــــــــــــــــ حملة أبرهة الحبشي على منطقة وسط الجزيرة العربية المذكورة في نقش مسندي وعلاقتها بحملته على مكة المذكورة في القرآن الكريم، مجلة الإصباح، بوردو- فرنسا، العدد الخامس، يوليو2020م.

(9) ـــــــــــــــــــــــــــــــ دولة كندة في دهرها الأول وعلاقتها باليمن، ضمن كتاب: صنعاء الحضارة والتاريخ، مج1، المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية، صنعاء، 2005م.

(10) ـــــــــــــــــــــــــــــــ فجر الحضارة العربية القديمة.. رؤية تاريخية حول حضارات الأقوام العربية العتيقة (عاد، ثمود، مدين)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد88، 2009م.

(11) ـــــــــــــــــــــــــــــــ قراءة تاريخية لتدوينات الكُتاب الإغريق عن جنوب جزيرة العرب..استرابون أنموذجاً، مجلة شؤون العصر، العدد48، صنعاء، 2013م.

(12) الأشبط، علي عبدالرحمن. اليمن والحبشة من القرن الأول حتى القرن السادس الميلادي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2012م.

(13) الأصفهاني، حمزة بن الحسن. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.

(14) بافقيه، محمد عبدالقادر. هوامش على نقش عبدان الكبير، مجلة ريدان، العدد4، 1981م.

(15) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، 1959م.

(16) جليان، عطاء الله. مجتمع قريش السياسي والديني في عام الفيل، بيروت، 1987م.

(17) ديمانج، فرانسواز. قوافل البخور، ضمن كتاب طرق التجارة القديمة، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 2010م.

(18) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض، 1436هـ.

(19) روبان، كريستيان جوليان. العصور القديمة، ضمن كتاب: طرق التجارة القديمة، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 2010م.

(20) زيادة، نقولا. دليل البحر الإرثيري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، ضمن كتاب الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، 1984م.

(21) سحاب، فكتور. إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، 1992م.

(22) السيوطي جلال الدين و المحلي جلال الدين. تفسير الإمامين الجلالين، بيروت، 1987م.

(23) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد. اليمن في صدر الإسلام، دار الفكر، دمشق، 1987م.

(24) شهيد، عرفان. حملة امرؤ القيس على نجران.. المصادر غير المنشورة، ضمن كتاب: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج1، مطابع جامعة الرياض، الرياض، 1399هـ.

(25) الشيبة، عبدالله حسن. ترجمات يمانية (العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية)، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2008م.

(26) ـــــــــــــــــــــــــــــ دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، تعز، 2000م.

(27) ـــــــــــــــــــــــــــــ محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2006م.

(28) - الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، ج1، تحقيق: مصطفى السيد و طارق سالم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.

(29) - عبدالعليم، مصطفى كمال. تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد

العطرية في العصرين اليوناني والروماني، ضمن كتاب: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م.

(30) عبدالله، يوسف محمد. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.

(31) ـــــــــــــــــــــــــــــ مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأرتيري، مجلة ريدان، عدن، 1988م.

(32) عثمان، شوقي عبدالقوي. تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، كتاب عالم المعرفة رقم 151، 1990م.

(33) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م.

(34) العنزي، سالم سمران. طرق القوافل وآثارها في شمال جزيرة العرب، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، 2007م.

(35) فرح، أبواليسر. الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،2002م.

(36) كوبيشانوف، يوري ميخايلوفتش. الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية، ترجمة: صلاح الدين هاشم، عمّان، 1988م.

(37) لوندين. أ. ج. اليمن إبان القرن السادس الميلادي، الحلقة الرابعة، مجلة الإكليل، العدد الأول، السنة الثامنة، 1990م.

(38) ـــــــــــــــــــــــــــــ الموظف الدبلوماسي السبئي، ترجمة: قائد محمد طربوش، مراجعة: محمد أحمد علي، مجلة الإكليل، العدد2، السنة السادسة، 1988م.

(39) مجموعة مؤلفين. عُمان في التاريخ، دار اميل للنشر المحدودة، لندن، 1995م.

(40) مرسي، محمد إبراهيم. أضواء على ملكة سبأ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية 9، الرسالة 49، 1988م.

(41) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، 1973م.

(42) مهران، محمد بيومي. دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ج1 بلاد العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.

(43) ناشر، هشام عبدالعزيز. التجارة بين شبه الجرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2003م.

(44) الناصري، سيد أحمد علي. الرومان والبحر الأحمر، مجلة الدارة، العدد2، السنة

السادسة، تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(45) ـــــــــــــــــــــــــــــ الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، ضمن كتاب: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م.

(46) الهاشمي، رضا جواد. آثار الخليج والجزيرة العربية، بغداد، 1984م.

(47) هبو، أحمد أرحيم. تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة حلب، حلب، 1990م.

(48) يحيى، لطفي عبدالوهاب. العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.

(49) يعقوب الثالث، اغناطيوس. الشهداء الحميّريون العرب في الوثائق السريانية، دمشق، 1966م.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

(1) Rossini, Conti,Storia d, Ethiopia, Bergam, 1928. –

(2) Strabo: Th Geography, translates by Horace Leonard Jones, the Loeb Classical Library London and New York, 1930.

(3) Van Beek, Gus, Pre–Islamic South Arabian Shipping in the Indian Ocean JOAS, New Haven ASOR, 1960.

(4) Wissmann, H. V. Himyar Ancient History, Le Museon, 77, 3–4, 1964.–